محاضرات مقياس الاستشراق

الأستاذة نعيمة رحماني

السنة 2 انثروبولوجيا

المحاضرة02

نشأة وتطور الاستشراق

تجدر بنا الإشارة إلى أن السّاحة العلميّة قد عرفت جدلا كبيرا حول نشأة ظاهرة الاستشراق، فكلّ باحث يؤرّخ لنشأتها بحسب خلفيته المعرفية المبنية على القراءات القبليّة حول الموضوع. فها هو الباحث حسين فهيم يرى أنّ بواكير الظّاهرة الإستشراقيّة قد تجلّت في كتابات المؤرّخ اليوناني **هيرودوتس** Herredotus الّذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد؛ إذ كان أول من ألّف عن 50 شعبا من المجتمعات غير الأوروبيّة، واصفا تقاليدها وعاداتها وملامحها الجسمية وأصولها السلالية؛ مثل مصر وقبائل البدو في ليبيا، فكان بذلك أول من طرح فكرة التنوّع بين الشّعوب في النّواحي الثقافيّة واللّغويّة والسّلاليّة والدينيّة؛ حيث تحدّث عن التّبادلات الثقافيّة بين المجتمعات، معلّلا مثلا أن الاغريق أخدوا عن النّساء اللّيبيّات الثّياب والغناء والعربات ذات الخيول الأربعة.[1]

وقد سار في الاتجاه نفسه الباحث محمود السمرة الّذي اعتبر كتاب تاريخ هيرودوتس من أشهر الكتب عن الشّرق؛[2] لكن وبالعودة إلى قاموس أكسفورد الّذي عرّف الاستشراق على انه المعرفة بلغات الشّرق وتراثه، وبما أنّ المؤرّخ هيرودوتس لم يكن عالما بلغات المجتمعات الشّرقية[3] الّتي كان يكتب عنها، فإنه لا يمكننا نعته بأول مستشرق كتب عن الشّرق، فقد كان يعتمد في

---

[1] حسن فهيم، قصّة الأنثروبولوجيا، عالم المعرفة، الكويت، 1986م، ص34.

[2] محمود السّمرة، غربيوّن في بلادنا، بيروت، المكتبة التجاريّة للطّباعة والنّشر، 1969م، ص09.

[3] بسنت جميل، هيرودوت أبو الأكاذيب وليس أبو التّاريخ، 2016/05/13، مقال استخرج من الرّابط http://www.youm7.com/story بتاريخ 2018/01/02 على 20سا و58د.

تأليفاته على المترجمين والرّواة، وقد لاقت –تلك التّأليفات– الكثير من النّقد بسبب عدم اعتماده على المصادر الموثوقة واكتفائه بما سمعه من حكايات أقرب إلى الأساطير في غالبيّتها.

وبناء عليه يمكننا أن نموقع هيرودوتس في خانة الرحّالة المستكشفين، وليس في خانة المؤرّخين ولا المستشرقين؛ لأنه لم يكن يتقن اللّغة المصرية القديمة ولا اللّغات الشّرقية ولا تاريخ الشّرق؛ وبالتّالي لا يمكننا إرجاع بواكير الاستشراق إلى تأليفاته. من جانب آخر أرجع الباحث رائد أمير عبد الله نشأة ظاهرة الاستشراق إلى زمن الرّسول ﷺ، عندما احتكّ المسلمون بأهل الكتب من نصارى ويهود،[4] وسانده الرّأي الباحث مازن صلاح مطبقاني الّذي أرجع النشأة إلى اللّقاء الّذي جمع المسلمين بأصحمة بن أبجر النّجاشي(...–632م) ملك الحبشة، وإلى الاحتكاك العسكري مع غير المسلمين في معركة مؤتة.[5]

تُلزمنا هذه الآراء على استحضار مفهوم مصطلح المستشرق الّذي تناولناه سابقا؛ والّذي يقصد به الشّخص غير المسلم شرقيّا كان أو عربيّا، الّذي يتقن اللّغات الشّرقية وله اهتمام بدراسة تاريخ الحضارات الشّرقية. واستنادا إلى هذا المفهوم لا يمكننا القول بأن مجرّد الاحتكاك بأهل الكتب من نصارى أو يهود، أو مع العسكريّين في أيّ غزوة يعدّ استشراقا، إلاّ إذا احتوت تلك الفئة على من يتقن اللّغة العربيّة، ويملك رغبة قويّة في دراسة تراث الحضارة الإسلاميّة، مع الإشارة إلى ان التّراث الإسلاميّ في تلك الفترة كان لا يزال في مهده.

لهذا يمكننا القول أنّ إرجاع نشأة الاستشراق إلى تلك الفترة مستبعد جدّا، خاصّة وأنّ غاية بعض المستشرقين منذ البداية هي التّشكيك في نبوّة ﷺ، وفي المصادر الإسلاميّة، فكيف يمكنهم ذلك والرّسالة النبويّة والتّراث الإسلاميّ لم يكتملا بعد؟ (يتبع)

---

[4] رائد أمير عبد الله، المستشرقون الألمان وجهودهم تجّاه المخطوطات العربيّة الإسلاميّة، مجلّة كليّة العلوم الإسلاميّة، م 08، ع 1/15، 2014م، ص04.

[5] مازن صلاح مطبقاني، نشأة الإستشراق، أكتوبر 2002م، استخرج من الرّابط http://www.madinacenter.com بتاريخ 20185/01/03 على 11سا و38د.